ISSN: 2253-0347
مجلــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 03 / السنة: 2021 / ص ص: 301-324

بيار بورديو،مقاربة انعكاسية لإبستمولوجيا العلوم الإجتماعية

Pierre Bourdieu,Reflexive Approach to épistémology of the Sociale Sciences

تاريخ الإرسال: 30 /06/ 2021 تاريخ القبول: 24/07/ 2021 تاريخ النشر: 2021/09/18

صالح حميدات

جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر *Email :* hamidats07@gmail.com

الملخص:

إن هذ المقال هو محاولة متواضعة لمساءلة إنعكاسية لسوسيولوجيا بيار بورديو التي طبعت النصف الثاني من القرن العشرين. و التي قدمت لنا أحد أهم البراديغمات المقارباتية لفهم أكثر بطبيعة الفعل السوسيولوجي، لا في جانبه الميكانيكي حين نتوقف عند آليته, بل الغوص في أعماق هذا الفعل. سوسيولوجيا تقوم على مقاربة العودة الإنعكاسية إلى الأصول التاريخية و الإبستيمولوجية لأفعالنا. و على إحداث قطيعة مفاهيمية مع علم الإجتماع الكلاسيكي، وذلك بصناعة مفاهيم إبستيمولوجية جديدة للعلوم الإنسانية و الإجتماعية, مفاهيم قادرة على إدراك الفعل الإجتماعي لا في بنيته الخارجية فقط, بل أكثر من ذلك البنية الداخلية له, مستخدمة في ذلك منحوتات اصطلاحية جديدة كل الجدة في الفضاء الفلسفي- الإجتماعي تتلاءم مع هذه المقاربة الإنعكاسية ك" الهابيتوس","السلطة الرمزية", "الحقل الإجتماعي","رأس المال الثقافي"،"الهيمنة الذكورية"، "إعادة الإنتاج "و غيرها من المفاهيم التي ستظل مدوية في فضاء الأبحاث الإبستمولوجية للعلوم الإنسانية و الإجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المقاربة؛ الإنعكاسية؛ إبستمولوجي؛ العلوم الإجتماعية.

المؤلف المرسل: صالح حميدات، *Email :* hamidats07@gmail.com

Abstract:

This article is a modest attempt to question the reflexology of the sociology of Pierre Bourdieu, which imprinted the second half of the twentieth century.This has provided us with one of the most important comparative paradigms for better understanding the nature of sociological action, not on its mechanical side when we stop at its mechanism, but rather by diving into the depths of this action. Sociology is based on an approach of reflexology going back to the historical and epistemological origins of our actions. And to create a conceptual break with classical sociology, by creating new epistemological concepts of the human and social sciences, by using new terminological sculptures which are all novelties in the philosophico-social space compatible with this reflexive approach as "hapetos", "symbolic authority", "social field" " , "Cultural capital", "male domination", and other concepts that will remain resonant in the space of epistemological research.

Keywords: Pierre Bourdieu; The reflective approach; keywords; epistemology; social Sciences.

مقدمة:

لقد أصبح البحث في مقاربات جديدة للإبستيمولوجيا الإجتماعية المعاصرة ذا أهمية قصوى في ظل عالم اجتماعي يتغير بسرعة نتيجة لعوامل معروفة و أخرى لم يعد بالإمكان معرفتها وفق الطروحات التقليدية التي لم تعد تتماشى مع نسق الحياة الإجتماعية المعاصرة و تجاذباتها المعقدة التي أصبحت تحتاج إلى إبستيمولوجيا عقلانية جديدة تتلاءم مع طبيعة هذه التجاذبات؛ و هنا تاتي المقاربة الإنعكاسية التي قدمها عالم الإجتماع الفرنسي بيار بورديو، لتكون الإطار الإبستيمولوجي الجديد لفهم شبكة العلاقات الإجتماعية لإنسان النصف الثاني من القرن العشرين و بداية القرن الواحد و العشرين، أو ما يسمى إنسان الألفية الجديدة.

إنعكاسية تعيد قراءة تاريخ الفكر الإجتماعي وفق معايير و براديغم إبستيمولوجي جديد يقوم على مبدأ القطيعة الرمزية و المفاهيمية مع الأسس الكلاسيكية للعلوم الإجتماعية، حيث أن بورديو لا ينظر للمجتمع ككتلة واحدة فاعلة، إنما ينظر إليه كمجموعة حقول أو فضاءات اجتماعية تعد مسرحا لنشاط الفاعلين الإجتماعيين، الذين ينتمون إلى هذا الحقل أو ذاك عن وعي وإرادة و ليس ذلك الإنتماء الآلي، انتماء الشاة للقطيع. وأن معرفة نشاط الفاعلين داخل الحقل هو المبدأ الأول لفهم طبيعة النشاط الإجتماعي و هو الأمر الذي لم تنتبه إليه الإبستيمولوجيا التقليدية. إنه يفسر لنا من جهة أخرى كيفية نشوء مختلف الحركات الإجتماعية المعاصرة كمنظمات المجتمع المدني المختلفة و كيفية تأثيرها في صناعة القرار الإجتماعي من النواحي السياسية و الإقتصادية و الثقافية و صناعة الأزمات و الحروب. و هو ما يفسر كيف أن المجتمع المعاصر قد عرف بداية من مطلع القرن العشرين و إلى المنتصف منه أكبر الحروب و الأزمات التي لم يعرفها طيلة وجوده على الأرض: حربين عالميتين مدمرتين إنتهيتا بإلقاء قنبلتين نوويتين، و حرب باردة أشد فتكا و دمارا، سباق مجنون نحو التسلح، الأحادية القطبية، ظهور النيو-ليبرالية و الأزمات الإقتصادية و غيرها، مما لم تستطع الإبستيمولوجيا الكلاسيكية التنبؤ به و التعامل معه .

مقاربة إنعكاسية، تعيد طرح سؤال التأسيس لإبستيمولوجيا اجتماعية جدبدة ، تقوم على مبدأ الإنعكاس المتبادل بين الباحث من جهة و البحث من جهة أخرى, فالمعرفة التي تبنى في ميدان العلوم الإنسانية و الإجتماعية يجب أن تنعكس بأدواتها و شروطها على ذات الباحث كأنه موضوع لها، فما ينطبق على العلم ينطبق على العالم نفسه، فإذا كان الباحث عامل مؤثر على البحث فهو كذلك جزء من البحث,وليس عنصرا خارجيا و ينطبق عليه تماما ما ينطبق على البحث.

و قد أقام بورديو هذه المقاربة الإنعكاسية على مجموعة من الإصطلاحات و المفاهيم الفلسفية- الإجتماعية الجديدة كل الجدة في المجال الفكري، كأدوات إبستيمولوجية نقدية قادرة على تفكيك تعقيدات السوسيولوجيا المعاصرة. مفاهيم

كـ"الحقل، أو الفضاء"، "الهابيتوس"،"إعادة الإنتاج"، "رأس المال الرمزي" و غيرها من المفاهيم الكثيرة التي أغنت القاموس السوسيولوجي و الفلسفي المعاصر.

و من أجل الوصول إلى ضفاف هذه المقاربة الإنعكاسية، فقد كان البدء بالمرور على الدلالات اللغوية و الإصطلاحية لهذا المفهوم، لنعرج بعد ذلك على أهم الخصائص و المعطيات الإبستيمولوجية التي تقوم عليها هذه المقاربة، وصولا بعد ذلك لأهم مفاهيمها الإبستيمولوجية. و هو ما يدعونا بكل تأكيد إلى طرح أسئلة رئيسية تخص صميم هذا المتن الإنعكاسي.

فما هي هذه المقاربة الانعكاسية ؟ و ماهي أسسها، خصائصها، و مفاهيمها ؟ و إلى أي مدى استطاعت أن تقدم نفسها كبراديغم إبستيمولوجي لسوسيولوجيا للنصف الثاني من القرن العشرين؟

2. بورديو و الإنعكاسية(لمحة بيبليوغرافية)

و هكذا، و في غير ما كتاب من مؤلفاته الكثيرة وخاصة في كتابه الأساسي "أسئلة علم الاجتماع- في علم الاجتماع الانعكاسي - الذي يعد المصدر الأساسي للمقاربة الإنعكاسية في ابستيمولوجيا بورديو, و بدرجة أقل في كتابه "حرفة علم الاجتماع" **Le Métier de Sociologue** الذي يعد من آخر كتبه المنشور عام 1993, و الذي خصصه للشروط النظرية للعلم الإجتماعي؛مرورا بأول مؤلفاته"علم اجتماع الجزائر" **La Sociologie de l'Algérie** الذي كتبه سنة 1958عندما كان أستاذا في جامعة الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، و الذي صرح في مقدمته أن "اختياري لدراسة المجتمع الجزائري قد نشأ عن دافع مدني أكثر منه سياسي"(Bourdieu. 2002).

و أن ما شده في لمجتمع الجزائري هو تنوعه الثقافي و محافظته على نمطية العادات و القيم الإجتماعية(Bourdieu..p8)., و هو الكتاب الذي فتح لبورديو أبواب الإبستمولوجيا الإجتماعية على مصراعيها, و كان فاتحة لمجموعة كبيرة من الكتب عن أنثروبولوجيا الجزائر(فلاحين,عمال,الإحساس بالشرف في المجتمع القبائلي,,,)و التي كانت

الخلفية الفكرية و السوسيولوجية و الأنثروبولوجية و التي صنعت في نفس الوقت مجده العلمي مبكرا.

لتليه مجموعة كبيرة من الكتب,ك : "التمييز"**La Distinction** الذي عدّ الكتاب المحوري في التحليل الإحصائي الصحيح في الميدان الإجتماعي و دراسة العلاقات بين الطبقات الإجتماعية(Lebaron .et Le Roux. 2015). دون نسيان كتابه "إعادة الإنتاج "**la Reproduction**"حيث بين أسس النظام التعليمي في أوروبا البورجوازية الذي يعيد إنتاج نفسه في كل مرة. بينما يلخص في كتابه "الهيمنة الذكورية" **la Domination Masculine** العلاقات الأسرية, و كيف أنه تحت تأثير الثقل الأنثروبولوجي تسيطر الآلية الذكورية تحت تأثير الهابيتوس, خاصة في المجتمعات التقليدية التي لازالت تقوم على مبدأ السيطرة من خلال التمييز الرمزي بين الجنسين, و عن الآليات التاريخية المسؤولة عن ذلك, و محاولة تفكيك هذه الآليات واقعيا من البوابة البيولوجية .

و من كتبه المتأخرة"بؤس العالم" **La Misère du Monde** الذي كتبه في ثلاثة أجزاء و الذي كشف فيه "تلاعبات النيوليبرالية" المتوحشة و الذي يعتبر الدليل الإمبريقي للإبستيمولوجيا المعاصرة,أين يحلل بورديو الواقع الإجتماعي للفئات الإجتماعية المحرومة التي تعيش على هامش الحياة في أوروبا. و خاصة الوافدين من شمال افريقيا، و التي ظهر فيها بورديو كآخر المفكرين الكبار الذين تركوا بصماتهم الفكرية و أثروا بشكل علمي في الحركات الإجتماعية و السياسية التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين(بيار بورديو،2004). مرورا بـ"التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول". **Sur la télévision :Suivi de l'emprise du journalisme** , الذي كرسه لنقد الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام و الميديا الفرنسية(بيار بورديو،2004) على الخصوص و الغربية في تكريس الأوضاع السائدة و في التلاعب بعقول الناس.

في كل هذا و في غيرها من مؤلفاته التي عدت بالعشرات ومقالاته التي تجاوزت الـ : 260، بدا بيار بورديو الإبن الوفي للإنعكاسية الإجتماعية,و المدافع الشرس عنها.

إنعكاسية يلتقي فيها علم الاجتماع بالأنثربولوجيا ،و الأنثربولوجيا بالتاريخ، والتربية بالاقتصاد و الثقافة بالسياسة(بيار بورديو،1997)، إنها فلسفة بورديو التي لا تحترم أبدا الحدود التي رسمتها الإبستمولوجيا التقليدية، و التي يظهر فيها بورديو كقائد لأوركسترا موسيقية تناغمت فيها مختلف الآلات على اختلافها.

و هذا ما يدفعنا إلى التقرب من هذه المقاربة جاهدين إلى سبر أغوارها و ذلك بداية من المدخل السيميولوجي.

3.الحقل الدلالي للفظ (التعريف)

1.3 - الدلالة اللغوية:

إن المقاربة التعريفية لأي لفظ تقودنا بالضرورة إلى الأصل, و الأصل دائما هو اللغة. و بالعودة إليها نجد أن لفظ " إنعكس" واحدا من أكثر الألفاظ استعمالا في ممارساتنا اللغوية اليومية, فنقول" إنعكس" (المعجم الوسيط،2004) بمعنى ارتدّ بنفس الشكل أو بنفس الصورة التي كان عليها. و نقول عن الشكل أو الصورة المقلوبة, معكوسة, و نقول عن نجاح أو فشل شخص أنه انعكاسا لظروفه و أن شخصية الفرد هي "انعكاس" للظروف الإجتماعية و العائلية التي نشأت فيها, و غيرها من الحالات التي ينعكس فيها شيء عن شيء, أو حالة عن حالة.

و من الناحية الفيزيائية نقول" إنعكس الضوء عل المرآة" أي ارتد كما هو.و حين ننظر للمرآة فإنها تعكس صورتنا. و نسمي المرآة التي توضع في أعلى المركبة أمام السائق " المرآة العاكسة", لأنها تعكس صورة ما يظهر خلف المركبة.

و العلم التجريبي باعتباره معرفة استكشافية، هو عكس للواقع و انعكاس له، إنه صورة للواقع كما هو كما أعطته لنا التجربة المباشرة.

إن مناهج العلوم الطبيعية من تجريب و استقراء و غيرها تقوم على أساس "عكس" ما يحصل في الواقع من نشاط و رصده من خلال الملاحظة و الإنتقال بعد ذلك إلى قراءة هذه المعطيات.

2.3 الدلالة الإصطلاحية:

أما المعنى الإصطلاحي للإنعكاسية فهو متعدد, و يتحدد بحسب المجال الإستعمالي لكل مجال علمي, فعلم النفس السلوكي يعتبر سلوك الأفراد انعكاس شرطي لتنشئتهم الإجتماعية كما ذهب إليه جون واطسن و بافلوف و غيرهم. و في المنطق الصوري نجد قانون العكس, حيت يتم عكس القضية الحملية عكسا مستويا حيث تعكس و ذلك بجعل موضوعها محمولا و محمولها موضوعا. مع المحافظة على مضمونها و كيفها و مثال ذلك عكس القضية الحملية التالية: "كل الطلبة حاضرون"(كلية موجبة), فتعكس إلى قضية (جزئية موجبة): "بعض الحاضرين طلبة".

و لا يهمنا في هذا المقام إلا ما يدخل في مجال المعالجة البورديوية حيث"إن مايميز بورديو في مجال النظرية الإجتماعية المعاصرة هو انشغاله الدائم بالإنعكاسية. فمن أبحاثه الأولى في الممارسات الزواجيةب: ' بيارن Béarn القرية المنعزلة التي نشأ فيها بورديو و إلى ملاحظة الإنسان الأكاديمي الفرنسي(Lebaron .et Le Roux. 2015). (و هو كتاب ألفه بورديو سنة1984), و حتى نشره لكتابه المتميز " التمييز " La Distinction - النقد الإجتماعي للحكم- سنة 1979 اعتبر بورديو كمرجع أساسي في الدراسات الإجتماعية, خاصة العلاقات بين الطبقات الإجتماعية و أسلوب حياتها(بورديو،1997) حيث ما فتيء بورديو يعكس على نفسه أدوات العلم, مع أنه قام بذلك بطريقة ليست دائما قابلة للإدراك مباشرة من قبل بعض قرائه(Bourdieu. 2010)."

نعم ما فتيء بورديو يسعى في جهد دؤوب لا يتوقف و طموح, إلى إعادة صياغة العلم الإجتماعي من خلال إعادة صياغة شروط البحث الإجتماعي,محدثا فيه تحولا كبيرا يرقى إلى مرتبة الثورة العلمية من خلال دعوته إلى علم اجتماع انعكاسي, أو علم الصرامة العلمية.

يظهر ذلك في كل مؤلفاته التي لا يترك فيها مجالا إلا و يشدد على هذه الصرامة, بل و يشكو في بعضها إلى اتهامه من بعض الباحثين بالدغمائية و التعصب لهذه الصرامة, حيث يبدو هنا و هو يجيب على أسئلة أحد الصحفيين في هذا الموضوع

"نعم أتفق تماما مع ما تقول, و أعتقد أنه واحد من دعائم عملي, لماذا أنا دائما أتفاجأ عندما يصفونني بالدغمائي ..إن العودة إلى العلم نفسه هي النظرة العلمية"(بورديو،1997) .

4. ابستملوجيا الإنعكاس

يجيب بورديو عن سؤال موجه له حول الإنعكاسية و بكل دقة و صراحة ووضوح إنها"التهيئة الضرورية لكل ممارسة صارمة متعلقة بعلم الإجتماع"(بورديو،1997) و أول ذلك أن يتموضع الباحث الإجتماعي في الزاوية الصحيحة للبحث باعتبارها الشرط الإنعكاسي الأول الذي يجب حفظه من هذا الباحث أو العالم الإجتماعي كما يحلو دائما لبورديو أن يسميه دائما هكذا "إن ما يؤسفني حينما أقرأ بعض الأعمال في علم الإجتماع, هو أن الذين يقومون بوظيفة موضعة العالم الإجتماعي نادرا ما يبدون قادرين على أن يموضعوا أنفسهم بأنفسهم...و أن خطابهم العلمي في الظاهر يتكلم عن علاقتهم بالموضوع أكثر مما يتكلم عن الموضوع(بورديو،2002)" فأول خطأ يقع فيه العالم هو سوء التموضع, فلا يحسن اختيار زاوية البحث التي تبدو ربما شيئا بسيطا , و لكنها مع بورديو الشرط الأساسي.

إن العلم الإجتماعي عند بورديو يقوم على مبدأ الممارسة الإنعكاسية الإبريقية, وإعادة فحص بديهيات هذا العلم سعيا إلى إلغاء التعارضات الثنائية بين التأمل و الممارسة,,, الذاتي و الموضوعي, الفيزياء الإجتماعية و الفينومينولوجيا الإجتماعية, البنية و التاريخ... (بورديو،2002)، فهو اتحاد بين الباحث و موضوع بحثه, فهو جزء من البحث, ينطبق عليه ما ينطبق على البحث. و بعبارة أخرى إنه عملية انعكاس متبادل.

إن الوصول إلى الإنعكاسية في العلوم الإجتماعية يتطلب من الباحث كما قلنا سابقا إعادة النظر في تاريخ العلوم الإجتماعية، من أجل إعادة قراءة شاملة لبديهيات هذه العلوم وفق مفاهيم إبستيمولوجية جديدة ك:الهابيتوس, العنف الرمزي, الهيمنة الرمزية,رأسالمال الرمزي و غيرها من المفاهيم الإبستيمولوجية الإنعكاسية غير

التقليدية, التي يحاول من خلالها بورديو هدم الطرح الإجتماعي التقليدي كما هو عند ماركس, دوركايم, و غيرهم باعتبارهم روادا لعلم الإجتماع التقليدي الذي يؤمن بستاتيكية و ميكانيكية العلاقة بين الفرد و المجتمع و بأكثر درجة بين الفاعلين الإجتماعيين. إن هذه النظرة التقليدية للعلاقة بين هذين الطرفين هي الهدف الأول الذي يجب هدمه,لأنها نظرة خارجية سطحية فقط,بل يجب الغوص في حركة الفاعلين الإجتماعيين داخل الحقل الإجتماعي بورديو،2002) و هو ما يعني تماما أن الذات التي تمارس الإنعكاسية يجب أن تكون هي حقل العلوم الإجتماعية نفسه(بورديو،1997).

إنها إعادة قراءة ايجابية،بعيدا عن الذاتية, قراءة ينعكس فيها الواقع كما هو دون أفكار و أحكام مسبقة كما هو الحال في علم الإجتماع الكلاسيكي(دوركايم, ماركس حيث يحدد الفعل مسبقا ,,,) فهي لا تقتضي ذلك الإنعكاس الجامد على الواقع الذي تظهر فيه الذات في قمة نرجسيتها،إنه انغماس في الواقع في التجربة الواقعية لمعرفة ،لا كما تفعل الظواهرية التي تتوقف عند حدس البداهة الأولي، وهي كذلك ليست الملاذ الذي تلوذ إليه الحقيقة كما تفعل الإبستمولوجيا الهيغلية(بورديو،1997).

إنها لا تتوقف عند التجربة فقط, فالمعطيات الأولى للإحساس لا تعطينا إلا الظاهر المبهم و السطحي.

1.4 الإنعكاسية كنظرة ابستمولوجية

إن الإنعكاسية هي دراسة هذه الأجزاء في بنيتها الستاتيكية ومن ثمة النظر في واقع العلاقات و التفاعلات بين هذه الأجزاء داخل البنية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى إبراز علائقية وتراتبية البني مع بعضها البعض داخل ما يسميه بورديو "الحقل"الذي تتفاعل بداخله البنى الاجتماعية المختلفة "إن الرجوع الذي تطالب به الانعكاسية يتجاوز بكثير حدود التجربة المعيشية للذات ليشمل البنية التنظيمية والتعريفية للميدان المعرفي (بورديو،1997)".

إن الإنعكاسية تقتضي من الباحث التجرد من كل ما هو ذاتي، من كل المعارف السابقة، من كل معطيات الحس المباشر الجامدة،التخلص من كل التفسيرات

النظرية التي قدمتها الفلسفات الاجتماعية في العصر الحديث و قبله، وبداية القرن العشرين،و اعتبارها إبستيمولوجيا تصادر البحث الإجتماعي، إنها تضع العربة أمام الحصان ،إنها لا تعكس الواقع ،وإنما تنعكس في الواقع وهذا أمر مرفوض.

"إن الذات التي تمارس الإنعكاسية يجب أن تكون هي حقل العلوم الاجتماعية نفسه(بورديو،1997)".إن الباحث نفسه, وليس المعطى الواقعي هو من يقرر مسار البحث. ولذلك يقر و يدافع بورديو عن علم إجتماع يكون أساسه الباحث باعتباره الفاعل الأساسي الذي يقوم ببناء المعرفة الإجتماعية بمعنى أن عليه أن يبني وقائع اجتماعية ذات طابع عقلي عام لها القدرة على إعادة رسم الأسس المكونة للممارسة الإجتماعية بعيدا عن الفهم الذي يفصل فصلا تاما بين الجوانب المعرفية و الجوانب التجريبية وبين أدوات وتقنيات الملاحظة و التحليل(بورديو،1997).

وهنا يأخذ بورديو, على كثير من الباحثين و بعض المدارس تحديد الغاية مسبقا وهذا أمر غير مقبول و خاصة المدرسة الأمريكية التي تشكو حسبه من ضعف حاد في التحليل الإنعكاسي، الذي يعود بالدرجة الأولى إلى التقليد الإبستيمولوجي السائد في الولايات المتحدة الذي يتغلب عليه الطابع النفعي والبراغماتي العلمي بدرجة خاصة و الذي تحدد فيه الغاية مسبقا, حيث التركيز كثيرا عند بورديو على التحليل الإنعكاسي الذي يقوم على بعدية معرفية للحقيقة(بورديو،1997).

إنها حسن التموضع, فمن بين الخصائص الأساسية للطرح الانعكاسي عند بورديو،،أن الباحث في الميادين الاجتماعية و الانسانية لا بد أن يتموضع جيدا حتى يكون موضوعيا، وهنا لا يفصل بورديو بين هذين المصطلحين"إن ما يؤسفني عندما اقرأ بعض الأعمال في علم الاجتماع هو أن الذين يقومون بوظيفة موضعة العالم الإجتماعي يبدون غير قادرين على أن يموضعو أنفسهم ، وغالبا ما يجهلون أن خطابهم العلمي في الظاهر يتكلم عن علاقتهم بالموضوع اكثر ما يتكلم عن الموضوع(بورديو،2004)"

إن على الباحث أن يفصل ذاته عن البحث ليمكن له ملاحظة هذا البحث بموضوعية، فعلم الاجتماع الانعكاسي يأخذ بعين الإعتبار وضع الباحث وموقعه من

البحث، بل إن انعكاسية المعرفة بحد ذاتها هي إحدى الأدوات الأساسية للموضوعية، فهي تبتعد تماما عن النزوع النرجسي.

إن العالم والمثقف كلاهما يقوم بعمل موضوعي جبار ،إنهما يعكسان حال المجتمع, بدراسته دراسة نقدية تحليلية للعلاقات بين مختلف بنياته: فكل ماهو واقعي علائقي, و هي عبارة استمدها بورديو من فكر هيغل مع تغيير بسيط. فالدراسة الموضوعية الإنعكاسية هي تلك الدراسة التي تعكس الواقع لتبرز بعد ذلك ما فيه من علاقات و تفاعلات .

ولن يتأتى هذا إلا عن طريق نقد وتحليل بنية هذه الظواهر ،وكشف ما خفي عن الملاحظة العيانية المباشرة وهو لب الانعكاسية.

لقد ناضل بورديو كثيرا من أجل الوصول إلى هذه المرحلة ،حيث يعتقد أن تحليل الواقع الاجتماعي ونقده هو الذي يسمح لنا فيما بعد بتغيره والتحكم فيه وهكذا فقد قام وبلا هوادة بفضح تلاعبات النظام الرأسمالي وتشدقه الزائف بالعدالة ،والحرية، و غيرها, و عمله الدائم على تغيير النظام التربوي القائم على مبدأ عدم التوازن بحيث يعيد في كل مرة إعادة إنتاج نفسه وفق آلية ستاتيكية أساسها إنتاج ما هو منتج أو إعادة إنتاج نفس الظروف التي تتسبب في إبقاء الأوضاع الاقتصادية, السياسية, و الاجتماعية على حالها والتي تعني إبقاء سيطرة واحتكار الطبقة القوية التي تمارس نفوذها في المجتمع من خلال الإبقاء على نفس الآليات التي تسير الحياة الاجتماعية, "فقد كان بيير بورديو بلا شك نموذج مثاليا لهذا النوع من الشخصيات الاستثنائية النادرة ،فقدم دعما فكريا كبيرا لحركة الإضرابات الكبرى التي شهدتها فرنسا عام1995ضد سياسات الحكومة الفرنسية...التى اضطرت إلى سحب القرارت الاقتصادية التي تستهدف مزيدا من الضغط على الطبقات والشرائح الإجتماعية من العمال والموظفين وفئات الطبقة الوسطى بشكل عام(بورديو،2004)"

وهكذا فقد عمل بورديو على إبراز دعم العلماء على الخصوص والمثقفين على العموم, في كشف تلاعبات النيو ليبرالية, و البورجوازية الرأسمالية, فقد ربط بين

السياسة الليبرالية الجديدة وبين زيادة الفساد ومعدل الجريمة، وبين السياسة الليبرالية الجديدة وبين ما يطلق عليه دوركايم (الخلل أو الفوضى) والإنحراف عن النظام الطبيعي(شوفالييه، شوفيري، 2013)

إن كشف العلاقات بين الظواهر الاجتماعية و الإنسانية هو ما تسعى الإنعكاسية إلى كشفه ،بفكر موضوعي يتجاوز المعطيات المباشرة للمعاينة، من خلال تحليل المعطيات لمعرفة مكوناتها ومآلاتها "إن عالم الإجتماع ينبغي له أن يطبق مبدأ العلم الحديث هذا لكي يتخلص من الإدراك الواقعي للعالم الاجتماعي بسذاجة ،والذي ينساق باللغة الخاصة بالحس المشترك(شوفالييه، شوفيري، 2013) "

أن يتجه مباشرة إلى تحليل العلاقات التي تحكم سلوكيات الأفراد داخل البنية الاجتماعية ومنه فإن المنهجية العلائقية تعود إلى تخصيص كل عنصر بالعلاقات التي تجمعه بغيره داخل نسق ما والذي يستمد منه معناه و وظيفته(شوفالييه، شوفيري، 2013).

5. مفاهيمها الأساسية :

لاشك أن الفيلسوف و عالم الإجتماع بيار بورديو يعد من بين أهم المفكرين الذين امتازوا بنحت مفاهيم و مصطلحات خاصة بهم شأنه في ذلك شأن الكثير من العمالقة مثل "هيغل" "ماركس" فيبر" و غيرهم الذين طبعوا الفكر العالمي بإبداعهم، و هكذا فقد أغنى بورديو القاموس الفلسفي و السوسيولوجي على الخصوص بمجموعة من المصطلحات التي شكلت جوهر بنائه الإبستيمولوجي, فإلى أي مدى ساهمت هذه المفاهيم الإصطلاحية في تشكيل البراديغم الإبستيمولوجي لبيار بورديو؟

إن أول ما يشد اهتمامنا هو الترابط الكبير بين هذه المنحوتات الإصطلاحية, حيث أنها تشكل المفاتيح الأساسية للفكر الإجتماعي لبورديو, و أن إهمال إحداها يؤدي بالضرورة إلى اختلال في فهم إبستيمولوجيا بيار بورديو التي تمتاز بنوع من التعقيد الناتج أصلا عن أسلوب بورديو في الكتابة كما اعترف هو بنفسه في مناسبات متعددة,و كذلك تمتاز نصوصه بكثير من المعقولية أو ما يسميه هو "التّذهّن" فهي لا تخاطب

الحس المباشر, و أن ترتيبي لها في هذه الورقة البحثية تقتضيه عوامل منهجية لا معرفية.

1.5. الحقل أو الفضاء"Champ- Espace:

يعتبر مصطلح "الحقل" الحجر الأساس في البناء الإجتماعي لإبستيمولوجيا بورديو, والمفتاح الأهم الذي يمكنك من خلاله الدخول إلى مختلف الحقول التي تشكل فسيفساء الفكر الفلسفي و السوسيولوجي, عنده, حيث أن العالم الإجتماعي يتكون من مجموعة متعددة و متنوعة من الحقول, ولكل حقل مجاله الخاص الذي ينشط فيه كالحقل العلمي, السياسي, الإقتصادي, الفني,,,و لكل حقل نوع من الإستقلالية عن الحقل الآخر, و هذه الإستقلالية لا تلغي أبدا ما بين هذه الحقول من ترابط سببي وثيق في إطار البناء الإجتماعي.

فالنشاط الإجتماعي الإنساني ككل كنشاط عام يشكل مجال النشاط العام للحقل, هذا النشاط ينحل إلى مجموعة نشاطات صغرى كثيرة و متعددة تسمى حقول و بعبارة أخرى أن العالم الإجتماعي يتجزأ إلى عدد كبير من العوالم الصغرى, إنها الحقول, حيث يملك كل واحد, رهانات و مواضيع, ومصالح خاص(شوفالييه، شوفيري، 2013) حيث أنه لكل حقل أو فضاء نشاطه الخاص به.

داخل الحقل نجد نشاط الفاعلين الإجتماعيين, هذ النشاط هو المحور الأساسي للإبستيمولوجيا الإجتماعية عند بورديو "فالفاعلين هم من تجعلهم مواقعهم موجودين فعليا في حقل ما(بورديو،2013)" يتنافسون على نفس الرهان الذي هو الحصول على الحد الأقصى من السيادة داخل المجال و التي تسمح للذين يحققونها بإضفاء الشرعية على نشاطهم أو سحبها منهم و إقصائهم بعيدا عن امتيازات المجال –الحقل- .

و من أجل تحقيق تلك السيادة أو الشرعية داخل المجال فإنه يجب جمع أكبر قدر من نوع خاص من رأس المال الرمزي الملائم للحقل أو المجال و هو القدرة على إنتاج ما يحقق السيادة الرمزية أو السيطرة المشروعة(كاريزما فردية و تميز, شهادات علمية, امتلاك الخطابة, رأس المال الإقتصادي, ولو أن هذا الأخير ليس جوهريا بالدرجة

الكافية(شوفالييه، شوفيري، 2013) و لنقترب قليلا و نلقي نظرة داخل الحقل أو الفضاء،فإننا نجد أن الفاعلين الإجتماعيين يمارسون دون هوادة ديناميكية إثبات الوجود عن طريق ما يستطيعون من مختلف أشكال الرأسمال الرمزي، لأن قبولهم داخل الحقل و داخل اللعب- كما يحلو لبورديو قوله- يقوم على أساس مقاييس معترف بها (كحيازة مختلف أشكال الرأسمال التي هي رهانات و غايات الحقل) و من جهة أخرى تبعا لتسجيلهم على شكل مواقع...بكيفية تكون مطلوبة من طرف الديناميكية الخاصة بالحقل(Bourdieu. 2010). و طبعا كذلك النشاط العام بين حقل و حقل آخر داخل النسق الإجتماعي.

2.5. الهابيتوسHabitus :

يؤكد بورديو أن " كلمة هابيتوس كلمة قديمة جدا بما أنها تعود إلى أرسطو مرورا بالقديس سان طوماس، إلخ (Bourdieu. 2010)." حيث يعترف بورديو أن استخدام هذا المصطلح في الأصل إلى اليونانيين قديما و إلى الفيلسوف العبقري أرسطو طاليس بالتحديد دالا به – بورديو- على ملكة التهيؤ و الإستعداد الطبيعي، أو بالإكتساب الذي يوجد لدى الفرد أو الجماعة على القيام بعمل ما، أو تقبله من الآخرين،الذي يعتبر أول من استخدمه كقاعدة خلفية و أساسية لإبستيمولوجيته، بل و يفتخر بورديو بأنه هو من بعث الحياة في هذا اللفظ " و إنني أظن أنه من الناحية الجينيالوجية أن كثيرا من الناس قد أحبت إعادة إحيائي لهذا اللفظ(بورديو،2013)". و كان أرسطو قد دل بـ"HEXES على معنى "العادات" أو الإستعدادات التي ينشأ عليها الفرد أو التي يكتسبها، و هي تتعلق بأربع مستويات : العرفاني، الخلقي، الجمالي، و هيئة الجسد، تعمل وفق آليات معقدة لتعبر في الأخير عن الهوية الإجتماعية لصاحبها(Bourdieu. 2003).... ما يتعود عليه الفرد أو المجتمع، أي"عادة".

إلآ أن رونقه و مداه الفلسفي و الإبستيمولوجي قد أخذه مع بيار بورديو الذي جعل منه أحد المفاهيم الأساسية و المداخل المهمة لفهم فلسفته ومفتاحا مهما من مفاتيح السوسيولوجيا عنده، حيث لا يمكن فهم مصطلحات أساسية في فلسفة بورديو

كـ: سلطة رمزية, هيمنة ذكورية, عنف رمزي, إعادة إنتاج,,,و غيرها من غير مفتاح الـ" هابيتوس" الذي يجعل المسيطر و المهيمن عليهم يتقبلون هذه السيطرة أو هذا العنف الشرعي الناعم الذي لا يمكن مقاومته إلاّ في إطار ما يملكه الفاعلون الإجتماعيون من رأسمال رمزي أو ثقافي يستطيع من خلاله هؤلاء الفاعلين تغيير تراتبيتهم الإجتماعية بطرق شرعية ناعمة و خاصة" الفئة المثقفةIntellectuelle التي لها أسلحتها الرمزية(بورديو،2009)" الخاصة بها, و هو عكس تماما ما تنادي به الماركسية التي يعمل الفاعلون الإجتماعيون فيها على تغيير الأوضاع الإجتماعية عن طريق العنف المادي. و هنا يبدو بورديو أقرب من فكر ماكس فيبر, الذي أخذ عنه فكرة الهيمنة بالتقبل.

و فكرة الهابيتوس عند بورديو هي المحرك الأساسي للفاعلين الإجتماعيين باعتبارها "أنساقا من الإستعدادات المستدامة و القابلة للنقل. إنها بنى مبنية قابلة مسبقا للإشتغال بوصفها بنى مبنية، أي باعتبارها مبادئ مولدة و منظمة لممارسات و تمثلات يمكن لها موضوعيا أن تتأقلم مع هدفها، من دون افتراض رؤية واعية للغايات، و التحكم الصريح في العمليات الضرورية من أجل بلوغها(ماتون، دون سنة)" و يظيف أيضا" إن تفكيري كله ينطلق من هذه النقطة: كيف للسلوك أن يكون محكوما ناتجا عن مجرد الإنصياع للقواعد؟ (Bourdieu. 1979)." أنه انصياع السلوك التام لقوانين المجتمع، التي تصبح بمثابة "الطابو" أو الشيء المقدس كما كان سائدا لدى الشعوب القديمة.أو هو التطبيع الإجتماعي في مجتمع تقليدي يحافظ على النسق القيمي .

و قد ركز بورديو على أهمية الهابيتيس، و مكوناته ووظيفته ، فمن حيث البنية فهو مجموعة الميول و الرغبات و التصورات و المعتقدات التي ترسخت في الشعور و اللاشعور الفردي و الجمعي بحيث تساعد الفرد على استيعاب القيم الإجتماعية و العادات و الأعراف و التجارب بشكل جيد(سكوت، 2013) ، إنه آلية المجتمع في التعامل مع الفرد، و هي صفات لاتلقى صداها في الجانب العقلي و النفسي فقط، بل هي أيضا رد فعل جسدي أيضا(سكوت، 2013) لتشكل أهم الإستعدادات التي يقوم بها الفاعلين الإجتماعيين في إطار التكيف مع الواقع الإجتماعي .

و يضطلع الهابيتوس بمهام كثيرة في مقاربة بورديو، حيث يمكن أن يطيق في جميع مستويات التحليل: الكبير و المتوسط و الصغير، و لذلك لا يعد تعريفه أمرا يسيرا و كما جادل احد المعلقين " أن هذه التقلبية المفاهيمية الجذابة جدا تجعل في بعض الأحيان حتى ما يحيل إليه المفهوم امبريقيا بالفعل أمرا غامضا(بشتة، 1995)" و الأمر الأكثر أهمية يتعلق في واقع الأمر، بمسالة بنية الهابيتوس، أي أن نتساء: إذاكان الهابيتوس يسلط الضوء على بنية مولدة، فما هو إذن التكوين الداخلي لهذه البنية؟(بشتة، 1995) لا يطيل بورديو و يتفضل بالإجابة بأن الممارسة متولدة عن الهابيتوس، و من ثم فإن كل الممارسات بمثابة أدلة تشير إلى بنى هذا الهابيتوس الذي ولدها. و لما كانت مهمة الباحثين السوسيولوجيين هي تحليل الممارسات الإجتماعية فإنهم يكشفون بالطبع عن بنى الهابيتوس(ماتون، دون سنة). فهو مكونا أساسيا في معادلة بورديو التي يفهم من خلالها العالم الإجتماعي.

معادلة تركز على الجانب العلائقي ، فالعلاقة هي جوهر "الهابيتوس". فبينما تقوم مقاربات عديدة باختزال الممارسة لطرف واحد من أطراف الثنائية، كالفردي مثلا أو الإجتماعي، و من ثمّ تقضي على الإثنينية بواسطة الإختزالية، يقدم الهابيتوس وسائل لا للقضاء على هذه الثنائيات، و إنما للمصالحة بينها(ماتون، دون سنة) إنه أحد أهم أشكال الهيمنة و السلطة الرمزية و التي فيها تحصل التقبل أو الإنصياع الطوعي كما يسميها بورديو بين طرفي المعادلة الرئيسيين : فرد- مجتمع ، حكام- محكومين ، مهيمن – مهيمن عليه، و غيرها من الثنائيات التي يقيمها بورديو.

و لمعرفة الآلية التي يعمل وفقها الهابيتوس، يؤكد بورديو أننا لسنا بشرا آليون مبرمجون مسبقا وفق ظروف تنشيتنا الإجتماعية، وإنما الممارسة هي في الأخير هي محصلة ما يسميه(علاقة ملتبسة و مزدوجة) علاقة لا موعي بها بين هابيتوس ما و حقل ما، معبر عنها بالمعادلة التالية:هابيتوس، رأس المال+ حقل = ممارسة(بورديو ، 2007) و بالعودة إلى شرح هذه المعادلة نجد أن الممارسة التي يقوم بها الفاعل الإجتماعي أي الهابيتوس يقوم بها هذا الفاعل داخل حقل أو فضاء معين، و بالتالي فهي تعبير عن العلاقة بين الهابيتيس، و بنية الحقل.

3.5. العنف الرمزي La violence symbolique

العنف الرمزي هو أحد آليات فهم الصراع و التنافس بين الطبقات الإجتماعية، ووسيلة تظهر من خلالها آليات التنافس .إنه العنف الذي يتم بالوسائل الهادئة و الناعمة عن طريق آليات الإعلام، التربية، العرف، الإيديولوجيا و غيرها. و الرمز هو السلطة المعنوية التي تفرضها التنشئة الإجتماعية و كل الظروف المواتية لفرضها. حيث تفرض نمطا فكريا أو اجتماعيا، قيميا أو اقتصاديا أو غيره ، حيث يصبح هذا النمط قوة إكراه معنوي – عنف-

و انطلق بورديو في هذا المجال من انتقاد الفلسفة الماركسية التي أغفلت عن هذا النوع من العنف رغم خطورته الشديدة ، التي تكمن في أن ضحاياه لا يشعرون به و يتقبلون بصورة طوعية سيطرة الأفكار المهيمنة عليهم من غير مقاومة إن أمثلة ذلك كثيرة كسلطة رجال الدين، العلم، المال،السياسة، الجاه، و هي سلطات من المفروض أن يعمل النظام التعليمي على إعادة صياغتها و إنتاجها من جديد، إلا أن لاشعور الذين تقع عليهم الهيمنة يمنع ذلك وهو ما يجعل منها سلطة رمزية و طبقة اجتماعية في نفس الوقت.

إن مختلف المكونات الإجتماعية لا تنأى عن هذا الصراع الخفي "حيث تدخل مختلف الطبقات و الفئات التي تتفرع عنها في صراع رمزي للعمل على فرض التصور عن العالم الإجتماعي الذي يكون أكثر ملاءمة لمصالحها، في حين أن مجال اتخاذ المواقف الإيديولوجية يقوم بإعادة إنتاج مجال الأوضاع الإجتماعية و إعطائه شكلا مغايرا"(بورديو ، 1998) ، فعن طريق العنف الرمزي تحافظ الطبقات الإجتماعية على مكانتها و امتيازاتها خاصة الطبقات الحاكمة و المثقفة على الرغم من أن مجتمع الحداثة و الصناعة يفتخر دوما بقدرته على تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص و العدالة و المساواة بينما يعمل بطريقة أخرى على الإقرار بالتفاوت الطبقي الإجتماعي من جهة أخرى عن طريق مختلف الأدوات المتاحة و هو صراع غير مباشر.

من هذا المفهوم يشتق بورديو الكثير من المفاهيم الملحقة كـ : رأس المال الرمزي الذي يعرفه في كتابه "مسائل علمية" بـ" أنه الشكل الذي يأخذه أي نوع من رأس المال، و هو آلية الفاعلين الإجتماعيين المشروعة في تبادل أدوار السيطرة، و من جهة أخرى فإن الدولة هي المخول فوق الجميع لممارسة العنف الرمزي المشروع. ذلك أن الدولة التي تمتلك وسائل فرض و ترسيخ المبادئ المستديمة للرؤية و للتقسيم الموافقة لبنياتها الخاصة، هي المكان بامتياز للتركيز و لممارسة السلطة الرمزية(بورديو ، 2007) .

4.5. إعادة الإنتاج La reproduction

وهو واحد من أهم المفاهيم الأساسية في سوسيولوجيا بيار بورديو ، و هو أحد وسائل الدفاع الذاتي الذي يمارسه المجتمع من خلال مختلف مؤسساته بإعادة إنتاج الهيئات الإجتماعية و إعادة تشكيل تراتبية اجتماعية عن طريق الوسائل التعليمية من مدرسة و جامعة و مختلف المؤسسات الثقافية و العلمية و إعادة صياغة بنى و أنظمة رمزية جديدة.

و الكتاب المعنون بـ: "إعادة الإنتاج" يقدم لنا فيه بيار بورديو و زميله كلود باسرون تحليلهما للنظام التعليمي الفرنسي ، الذي انطلقا فيه من فرضية أساسية و هي أن طالبي العلم الذين يقصدون المؤسسات التعليمية المختلفة و الذين يخضعون إلى نظام تعليمي واحد، لايملكون نفس الحظوظ في النجاح نتيجة وجود فوارق اجتماعية طبقية، و أن ما يعطى لهم من مواد تعليمية مؤدلجة و تعبر عن ثقافة المهيمن و تكرس قيمه و لا تعبر بتاتا عن ثقافة الجميع، و بالتالي تمنع النظام المدرسي من المساهمة في إعادة إنتاج و صياغة الطبقات الإجتماعية و بالتالي فإن التنشئة الإجتماعية موجهة لإدماج المتعلم و هو في الغالب المهيمن عليه في ثقافة المهيمن.

و من هنا فهو نظام تعليمي موجه يفتقد للمساواة و يعمل لتقسيم المجتمع إلى طبقات، و هو بذلك فهو يكرس مبدأ إعادة إنتاج نفسه بنفسه، لا إعادة الإنتاج الحقيقي. ليتساءل بعد ذلك بورديو "هل لنا أن نفهم من ذلك أن نسق التعليم ما كان يستطيع البقاء لو لم يزل يخدم- بما ينشئه من أشكال التواصل التقليدي- الطبقات أو

الزمر التي يأخذ عنها سلطانه(غيدينز، 2005)" و هو ما يجعل النجاح حليف الطبقة التي يخدمها النظام التعليمي، بينما يخص عدم التكامل بين النظام التعليمي و الطبقات الدنيا الفشل لهذه الأخيرة التي تتجه تبعا لذلك إلى نمط التعليم القصير المدى.

و يشير مفهوم إعادة الإنتاج الثقافي إلى الوسائل و الطرق التي تنتهجها المدارس، بمشاركة المؤسسات الإجتماعية الأخرى لإدامة اللامساواة الإجتماعية و الإقتصادية جيلا بعد جيل، حيث يلفت هذا المفهوم انتباهنا إلى السبل التي تتمكن بها المدارس عبر مناهجنا الدراسية الخبيثة من ممارسة التأثير على تعليم القيم و التوجهات و العادات(بشتة، 1995) فالمدرسة بما تقدمه تعمل على تقسيم المجتمع إلى طبقات، فالأطفال الذين نشأوا في بيئات اجتماعية متواضعة و غالبا في أوساط الجماعات الإثنية تترسخ في نفوسهم أساليب الحديث و التصرف تتعارض مع تلك السائدة في المدرسة، حيث تفرض المدارس على التلاميذ قواعد صارمة للإنضباط، يواجه فيها اطفال الطبقة العاملة عند دخولهم للمدرسة صداما ثقافيا أكبر بكثير مما يجده القادمون من شرائح اجتماعية حازت قدرا من الرفاهية.

إن أطفال البيئة الإجتماعية الأولى يجدون أنفسهم في بيئة ثقافية غريبة، و لا يقتصر الأمر عند هذا الحد بل افتقارهم كذلك إلى الحوافز الدافعة إلى تحقيق مستويات عالية من الأداء الأكاديمي ، بل إن أنماط التحادث و التصرف التي تعودوا عليها لا تتلاءم و تلك التي يستخدمها المدرسون، حتى لو بذل هؤلاء الأطفال قصارى جهدهم لتحسين قدرتهم على التواصل(بورديو، 2009).فإعادة الإنتاج تعني الإبقاء على الوضع القائم ، و باعتبار الأطفال غير متساوين في رأس المال الثقافي من البداية لاختلاف الفضاءات الإجتماعية التي جاؤا منها،أغنياء، فقراء، محرومون، أبناء القرى، أبناء المدن،،، فأنها باعتمادها على طرق و لغة تدريس تلائم ثقافة الطبقة البورجوازية فإنها كما قلنا سابقا تعيد إنتاج ما هو منتج أصلا. و هو مل يجعل المدرسة الليبرالية تمارس ثقافة العنف الرمزي القائم على فكرة الهيمنة.

5.5 السيطرة-الهيمنة- الذكورية -La domination Masculine

و لأهمية هذا المصطلح, فقد خصص له بورديو مؤلفا خاصا، استعرض فيه الكثير من الأفكار الجوهرية في المجتمع كالعنف الرمزي و السيطرة الذكورية التي يقوم بها الجنس الذكري تجاه الجنس الأنثوي وكيف يتقبل هذا لأخير هذه الهيمنة بتلقائية في إطار الهابيتيس الإجتماعي ماجعل بورديو يطرح في كتابه هذا الكثير من التساؤلات عن الآليات التاريخية المسؤولة عن هذه الوضعية(بورديو، 2009). ليجد بأن الكثير من الآليات الإجتماعية،البيولوجية، التاريخية و غيرها كلها مسؤولة عن هذه الوضعية.

إن التمييز بين الجنسين الذكري و الأنثوي ، و سيطرة الجنس الذكوري و هيمنته على الجنس الأنثوي و الأسس و البنى التي يقوم عليها هذا هذا التمييز و هذه السيطرة، هي الهدف الرئيسي من وراء كتابة هذا المؤلف المهم .

يلاحظ بورديو في عمله الضخم هذا أن التغير الذي يطرأ على البنى الإجتماعيةو الإقتتصادية و المتسارع جدا لا يقابله بالضرورة تطورا في المفاهيم الجنسية بين الذكور و الإناث في كثير من المجتمعات و يأخذ بورديو المجتمع الجزائري بالخصوص و في منطقة القبائل كنموذج لمجتمع المركزية الذكورية لكشف بعض السمات الأكثر تسترا داخل المجتمعات المعاصرة التي لازالت تقوم غلى الهيمنة الذكورية من خلال التمييز الرمزي بين ما هو ذكر و ما هو مؤنث،، فالإختلاف التشريحي بين الجنسين أي بين الأجساد الذكورية و الأجساد الأنثوية يمكن أن يظهر و كأنه تبرير طبيعي للإختلاف المبنين اجتماعيا بين النوعين(بورديو، 2009)..

في هذا الكتاب "يتساءل بورديو عن الآليات التاريخية المسؤولة عن اللاتاريخانية و التأبيد النسبيين لبنى التقسيم الجنسي و مبادئ الرؤية المطابقة لهما، فالهيمنة و الخضوع أو جدلية التبادل الإجتماعي بين كل من الرجال و النساء هي المسألة الشائكة التي حاول بورديو تفكيكها و جعلها مرئية. فالهيمنة الذكورية مازالت قائمة عبر ما يسميه بورديو العنف الرمزي، ذلك العنف الناعم و اللامحسوس و اللامرئي من ضحاياه أنفسهم(بورديو، 2009).

لا تفوتنا الإشارة كذلك إلى أن للتقسيمات المكونة للنظام الإجتماعي المتمثل في علاقات الهيمنة و الإستغلال، تنطبع في طبقتين مختلفتين من الهابتوسات" Habitus" على شكل تخلقات" Hexis" جسدية متناقضة و مكملة لبعضها البعض، و تنطبع في مبادئ الرؤية و التقسيم التي تصنف كل شيء في الكون انطلاقا من المذكر و المؤنث، والتي يجد فيها العنف الرمزي الشروط الضرورية للنمو و البقاء[52].

خاتمة:

و أخيرا فإن ما يمكن أن نصل إليه بعد هذه الورقة البحثية عن واحدة من أهم المقاربات الفكرية المعاصرة في مجال السوسيولوجيا الإنسانية, هو أن المقاربة الإنعكاسية عند بورديو هي طرحا إبستيمولوجيا جديدا في مجال البحث الإجتماعي يمتزج فيها العلم بالفلسفة و تنعكس فيها شروط العلم على العالم, باعتباره جزءا من البحث. وكذلك هي علامة بورديوية خالصة إن في شكلها أو مضمونها و بكل خصائصها وما جاءت به من مباديء و مفاهيم جديدة كـ" رأس المال الرمزي" , "إعادة الإنتاج", "الهابيتوس" و غيرها من المفاهيم التي لم توجد من قبل في السوسيولوجيا التقليدية. و مما نستنتجه أيضا, تأكيده على موضوع الفاعلية الإجتماعية, فـ" الفاعل الإجتماعي" هو المحرك الأساسي في الديناميكية الإجتماعية بفضل ما يملكه من رأس مال رمزي يتيح له تبادل أدوار الهيمنة داخل الحقل الإجتماعي مع بقية الفاعلين الآخرين. و مما يجب الإشارة إليه كذلك هو تنوع الموضوع الإجتماعي عند بورديو أمر جلي عنده, فهو يقدم لنا السوسيولوجيا بتوابل تفوح منها رأئحة الأنثروبولوجيا و الإثنولوجيا, و يتفاعل فيها الحاضر مع الماضي- وفق مبدأ الهابيتوس- في فاعلية لا تفتأ في التجدد و الإستمرارية.

و أخيرا لا يمكن أن نختم هذا الموضوع دون الإشارة إلى تعلق بورديو بالجزائر, ولا أدل على ذلك من البحوث الكثيرة التي قام بها عن الجزائر, و كان قد ساعده في بعضها المفكر الجزائري مولود معمري, و أن سوسيولوجيا بيار بورديو مستمدة من المجتمع الجزائري حتى أنه سمى أحد كتبه "علم اجتماع الجزائر". و لذلك فلابد من الإشارة إلى أن فكر بورديو لم يستقبل جزائريا و عربيا بالقدر الذي يستحقه, فسوسيولوجيا بورديو

لازالت تحجبها غيوم داكنة, و أن المدارس الإجتماعية الكلاسيكية قد أحكمت قبضتها على الفكر العربي التقليدي الذي يجب أن يتفتح على إبستيمولوجيا بورديو و مقارباته الإنعكاسية التي استقاها بالأساس من المجتمع الجزائري, و ربما هذا العبء يقع علينا نحن كجزائريين أكثر من غيرنا, فقد جعل منا بورديو قاعدة انطلاق لتأسيس براديغم إبستيمولوجي لسوسيولوجيا النصف الأخير من القرن العشرين و بداية القرن الواحد و العشرين, فلماذا لا نجعله نحن انطلاقتنا لتقديم طروحات إبستيمولوجية في مجال السوسيولوجيا المعاصرة تعيد لنا المجد الخلدوني الذي انطلق هو أيضا من أرض الجزائر؟.

قائمة المراجع :

أولا: المؤلفات باللغة العربية

1. أنتوني غيدينز(2005).**علم الإجتماع**.ترجمة فايز الصياغ.المنظمة العربية للترجمة.مؤسسسة ترجمان.بيروت.".
2. بيار بورديو (2009). **الهيمنة الذكورية**.ترجمة سلمان قعفراني.المنظمة العربية للترجمة. لبنان.
3. بيار بورديو و ج .د فاكونت(1997).**أسئلة علم الإجتماع**– في علم الإجتماع الإنعكاسي- ترجمة عبد الجليل الكور.دار توبقال للنشر. المغرب.
4. بيار بورديو و جان كلود باسرون(2007).**إعادة الإنتاج**.ترجمة الكتور ماهر تريمش .لبنان.
5. بيار بورديو(1998) .**أسباب علمية**. تعريب أنور مغيث. دار الأزمنة الحديثة.
6. بيار بورديو(2002). بعبارة أخرى (**محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية**) ترجمة أحمد حسان. ميريت للنشر و المعلومات. القاهرة. .
7. بيار بورديو(2004). **التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول.** ترجمة درويش الحلوجي. دار كنعان للدراسات و النشر و الخدمات الإعلامية.دمشق.

8. بيار بورديو(2007). **الرمز و السلطة.** ترجمة عبد السلام بن عبد العالي. دار توبقال للنشر.المغرب. ط.3.
9. بيار بورديو(2013). **قواعد الفن.** ترجمة ابراهيم فتحي.الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة.

10. جون سكوت(2013).**علم الإجتماع المفاهيم الأساسية**. ترجمة محمد عثمان. الشبكة العربية للأبحاث و النشر.لبنان. ط 2 .
11. ستيفان شوفالييه و كريستيان شوفيري(2013). **معجم بورديو**. ترجمة الزهرة إبراهيم. النايا للدراسات و النشر و التوزيع. دار الجزائر. سوريا. الشركة الجزائرية السورية النشر و التوزيع.
12. عبد القادر بشتة(1995).**الإبستمولوجيا**.دتر الطليعة للطباعة و النشر.بيروت-لبنان.
13. كارل ماتون(دون سنة). مفهوم الهابيتوس عند بيار بورديو.(مقالة) ترجمة. طارق عثمان. مركز نماء للبحوث و الدراسات.

14. المعجم الوسيط,المؤلفون (إبراهيم أنيس و آخرون)(2004).مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق, القاهرة,الطبعة 4.

ثانيا: المؤلفات باللغة الأجنبية

15. Pierre Bourdieu(2002). **Interventions(1961-2001). Sciences sociale et action politique.Textes choisis et présentés par Franck Poupeau et Thierry Discepolo.Agone** –Marseille. France.
16. Pierre Bourdieu.**Sociologie de L'Algerie**. Huitième édition. Que sais-je? PUF. France.p8
17. Frédéric Lebaron .et Brigitte Le Roux(2015).**La méthodologie de Pierre Bourdieu en action_ Espace culturelle,** espace social, et analyse des données-Dunond,Paris.

18. Pierre Bourdieu et Roger Chartier(2010). **Le sosiologue et L'historien.Agone**-marseille.France.

19. Pierre Bourdieu(1979).**La distinction .critique sociale du jugement.**Minuit.